

القديسان الشهيدان جبرئيل (ابو جبرئيل)
وواخس



القديسان الشهيدان جبرئيل (ابو جبرئيل)
وواخس

مقدمة

للقديس ساويرس بطريرك انطاكية مؤلفات متنوعة عديدة
تختص بسير القديسين . ومنها سيرة القديسين الثابن الشهيدن
سرجيوس وصديقه واخوس ، وترجو من الرب يسوع أن
تكون هذه السيرة نافعة لقارئها وسامعها . وتميّد الكنيسة
القطبية للقديس واخوس في ٤ بايه وللقديس سرجيوس في
١٠ منه .

كان القديس سرجيوس شاباً برتبة قائد في بلاط الملك
مكسيميانوس^(١) . ولما رأى هذا الملك أن القديس وصديقه
واخوس يصران على الإيمان بالمسيح أرسلهما إلى أنطيوخس حاكم
سوريا ليعذبهما . فعذب القديس واخوس عذاباً شديداً ثم أمر
بذبحه ، فذبحوه وطرحوه في النهر مثقلاً بحجارة فتدفقه المياه
على شاطئه قريب من مساكن بعض القديسين والفساك ؛

(١) كان قائداً لجيش في عهد دوقديانوس ثم أصبح قيصراً على بلاد
الغرب سنة ٢٨٦ م ، وقد أتى بنفسه إلى مصر وأشعل نار الاضطهاد ضد
المسيحيين وبقى إلى سنة ٣٠٥ م حيث اعترل عقب اعتقال دوقديانوس .

الشابان الشهيدان سرجيوس (أبو سرجة) وواخوس

استبقى المؤمنون القديس ساويرس في قنشرين Kinnesrin
للاحتفال بالقديس سرجيوس الشهيد ، فأخذ يصف هذا
الاحتفال ويبين موضوع هذا الشهيد وصديقه الشهيد واخوس
الذان فازا بكليل الشهادة .

مترجم عن الفرنسية من الكتاب الثاني من الجزء الرابع
من مجموعة Patrologia Orientales R. Graffin- F. Nau
Les Homélie Cathédrales de Sévère d'Antioche
Traduction syriaque de Jacques d'Edesse
Homélie LVII

Publiée et traduite par Rubens Duval, pro-
fesseur au Collège de France, Paris.

وتقدم بعضهم حيث كان جسد القديس لعله ودفعه، ولشد ما كانت دهشتهم عندما وجدوا عقاباً وأسداً يحرسانه وأخذوا جسده بكرامة عظيمة .

وظل القديس سرجيوس حزيناً على صديقه إلى أن رآه في رؤيا منيراً ومستريحاً فتمزت نفسه كثيراً . وبعد هذا أمر الحاكم أن يسمر بالمسامير الطويلة في رجله ، فسمروه وأرسلوه إلى الرصافة إحدى بلاد الشام مربوطاً بأذنان الخيل ، فكان يجرى دمه على الأرض إلى أن صادفوا في الطريق جارية عذراء فاستقوا منها ماء . ولما رأت الجارية القديس أسفت عليه وركت لشبابه وجمال منظره فقال لها القديس اتبعيني إلى الرصافة لتأخذى جسدى فبعتته وهناك أمر الحاكم بقطع رأسه ، فتقدمت الجارية وأخذت الدم الذي خرج من عنقه المقدس في جزء من الصوف . أما جسده فحفظ إلى أن انقضى زمان عبادة الأوثان حيث بنوا له بيعة عظيمة بالرصافة حضر تأسيسها خمسة عشر أسقفاً . وتوجد بالقاهرة بمصر القديمة كنيسة شهيرة باسم القديس سرجيوس يطلقون عليها كنيسة أبو سرجه من أقدم الكنائس الآثرية ، وبها المغارة الآثرية أسفل الهيكل القبلي حيث هربت العائلة المقدسة .

المقال السابع والخمسون

الذين يستقبلون الغرباء استقبال الأجياء الاصدقاء ، ويجمعون أشهر الأطعمة وأفضلها ، ينتهزون فرصة الولية لكي يستقبلوا الذين أتوا اليهم . هكذا صنع ابراهيم حينما استقبل الثلاثة ملائكة ، أو بالحري الله نفسه الذي ظهر في شكل الملائكة وفي شكل الرجال وهو في الصورة يعرفنا بأنه جوهر واحد ، إله واحد ، في ثلاثة أقانيم .

وهذا ما بينه الكتاب المقدس في قوله : « وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار . فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه . فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد الى الأرض . وقال يا سيد ان كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك » تك ١٨ : ١٦-٣ . ركض نحوهم وهو يخاطب الثلاثة كأنه يخاطب واحداً . وفي الحال بعد أن غير شكل الخطاب ، كان يكلمهم قائلاً : « ليؤخذ قليل ماء وغسلوا أرجلكم وانسكبوا تحت الشجرة » تك ١٨ : ٤ وإذ توجه للقبالة كان يخاطب الله ، رب الكل ، وكان الله يرد عليه .

لكن ما جعلني أتكلم هو أن صديق الغريب هذا كان يأمر
سريعاً ساره أن تعيد الحبز ، بينما كان هو نفسه ، كما لو كان هذا
من عمل ، يتعجل طريقه إلى البقر ، ولم يعط أوامره لأحد ،
مع أنه كان يأتمر بأمره ثلاثاً وثمانية عشر عبداً مولودين في
البيت فضلاً عن الذين كان اشتراهم بماله . ثم وكفى إبراهيم إلى
البقر واخذ عجلاً رخصاً وجيداً وأعطاه للفلام فاسرع ليعمله ،
تك ١٨ : ٧ .

قال القديس : أنتم أيضاً ، قد فعلتم مثل إبراهيم باحتفالكم
بمجيء شخصي الحقيق وبجمعكم من كل جانب الاطعمة الروحانية
التي تستطيع أن تغذي الروح بفهم . لقد أعددتهم مائدة عظيمة
بخدمات المزامير ، وبالصلوات ، وبالمشاركة على الحضور إلى
الكنيسة ، وبالتناول من المائدة المقدسة . واستقيتمونا ولم
تسبحوا أبداً أن تعود إلى مقرنا قبل أن نشترك في هذه الوليمة
المبهجة ، ونفرح معكم ونحتفل في نفس الوقت معكم بتذكار
جهاد القديس سرجيوس الشهيد .

كيف إذا أرد على هذه الدعوة وهذه الوليمة الرسمية وإلى
عيد هذا القديس الجدير بكل إعجاب ؟ أأظل صامتاً دون أن آتي
للذين دعوني ببعض الكلمات التي تكمل العيد وتضيف إليه البهجة

والجلال ، حتى لا أشابه بعض الشرهين من المدعويين أو المتطقلين
الذين يتعلقون بالموائد ولا هم لهم إلا ملء بطونهم بعد الشبع .
فإن أمثال هؤلاء لا يرفعون نظرم قط نحو السموات ولا يحمدون
من أعطى الاطعمة النافعة اللاتقة بمثل هذا التنوع وهذا
الاختلاف لحفظ الحياة . وربما أيضاً ، إذا أردت الركون إلى
الصمت ، لا تسمح لي روعة معارك الشهيد .

يبدو لي اني أرى من تذكره حديثاً ، أبان شهادته ، أراه
يقف أمام مكسيميان الطاغية مع واخس الذي كان يقوم بنفس
الخدمة وكان نظيره في الجهاد . مع واخس لا نفرق في مقالنا
بين الواحد والآخر فقد جمعها إكليل الشهادة معاً . تشابها في
الشكل والعظمة . كلاهما كان شاباً كما كانت الروح أيضاً . كلا
يخدمان ويعدان في صف المحاربين عند الملك ، ويشغلان المكان
الأول فكانا برتبة قائد وكان سرجيوس رئيساً وواخس مساعده
تربطهما روح التقوى الواحد ، يدعيان مسيحيين وكانا مسيحيين
بالفعل ، وقد خاضا نفس المعركة لأجل الحق .

كتب بعض الأفراد للبلك ضدما يتهمونها ويدينونها
أنهما لا يذبجان للأوثان ولا يقدمان تقدمة الخمر للشياطين ،

فاستشاط الملك غيظا الذي كان ميالا للانتقام وقالوا له : انه
بصداقته توصلنا الى مثل هذه الجرأة . ولم يصدق الملك في البداية
وقادحها الى هيكل زفس الإله النجس ذو الاسم الكاذب . وأكل
مع وزرائه من الذبايح الدنسة وحاول أن يفري هذين البطلين
بالأكل من هذا الطعام الدنس .

فسمع منهما الرذ أنه لا يجب أن تذبح للأضنام الميتة أو
لصور الشياطين الأشرار الذين لهم فم ولا يتكلمون وأذان ولا
يسمعون . وبمثل هذه الأشياء كان النبي المرتل يستهزئ بها من
عدم احساسها وانعدام حركتها : **« لها افواه ولا تسكلم . لها
أعين ولا تبصر . لها اذان ولا تسمع . كذلك ليس لى افواهاها
ففس »** مز ١٣٥ : ١٦ - ١٧ .

فاستشاط غضباً في تجبره وكبريائه ، وأمر أن تقطع أحرمتها
وأن ترفع عن رقبتيهما الحلل الذهبية التي جرت العادة أن تعاق
على أعناق المحاربين الذين يتقدمون إلى الملوك . وأمر أن يقادا
إلى السوق في ملابس النساء . لكنهما في هذا كانا يعرفان كيف
يعارضانه بأعمالها ذاتها . فهذان المعترقان اللذان لا يقهران من
كل جانب قد تعلمنا كيف تكون المعاملة مع الخبيث كما يقول

داود النبي : **« مع الطاهر تكون طاهرا ومع الأوج تكون
ملتويا »** مز ١٨ : ٢٦ . وأفاذا من حيل المخادع وتفسفه .

قالا يا من تحارب الله ، أنظن أنك تثبط أرواحنا بشكل
أثني ؟ تستطيع بالقوة أن تلبس الاجساد ملابس النساء ولكنك
لن تلبس أرواحنا المتوثبة رداء الجن . ولثريتك بالقواتع
اعتقادنا في الوصية التي نطق بها الله بواسطة موسى النبي :

**« لا يكن متعاج رجل على امرأة ولا يلبس رجل ثوب امرأة
لان كل من يفعل ذلك مسكروه لدى الرب الهك »**
مت ٢٢ : ٥ . وذلك لا يعوق النساء . أغلب النساء غاض المعارك

كالرجال من أجل الديانة ، وحمل لإكليل النصر على المخادع ،
فكيف يحول بيتنا هذا الرداء أيها المهازر ؟ ألا ترى أنه منفصل
عن الجسد تماما لأنه غريب عنه ونحن بعيدون عن أن يضربنا إذ
ترتفع نحو فكرة سامية ، ولا يغرب عن بائنا أن تقتدى برينا
ومخلصنا يسوع المسيح الذي حين ألبسه اليهود الكفار لإكليل
الشوك وهم يستهزئون به ، أعلن في البداية برمز ، السر العميق
النحفي الذي به أخذ على عاتقه ، مثل خروف ، خطية العالم ، ومحا
تلك الخطية التي كانت قد أثبتت لنا الأشواك والحسك كلبية .
هكذا نحن أيضا ، بشجاعة في صبر وجهاد الاستشهاد لا نبالي
بالميوعة والخوف ونحن في ملابس النساء هذه . لان المسيح
يمارس سلطان الله الأب بمظاهر وطرق خاصة شنيعة .

بينما كان هذان البطلان يتأملان ويقولان هذه الكلمات وغيرها
من نفس النوع ، وهم يقودونهما الى وسط المدينة ، ناداهما
الطاغية بجماعة ، وأخذ يكلمهما كأنهما قد زلا ، وأخذ يستهزئ
بسر الديانة العظيم . قال : « أى حاجة لكما ، أيها العديمي الفهم ،
أن تعبدوا ابن التجار الذى حكم عليه اليهود بعذاب الصليب لانه
كان يتعدى التاموس ويشير الاضطرابات في شعبيهم ؟ »

عند سماع هذه الكلمات رد القديسان - وكانا يصليان - رداً
مضحكاً بطريقة إلهية . « لم يولد المسيح مثل آلهتمك الجديرة
بالسخرية البائسة ، فأنتها مولودة من الزنا .

لكن لانه الله ، فهو حقاً ابن التجار ؛ هو كلمة وحكمة الله
الآب ، هو الحياة ذاتها ، وهو مولود من الآب قبل إنشاء العالم
بدون جسد وغير قابل للالام . وقد خلقنا وخلق السماء
والأرض وخلق من العدم كل خليقة . . . وأراد أن
يصير انساناً دون إستحالة وبارادته لاجلنا نحن الذين كنا ساقطين
بسبب الخطية ، ولد من الروح القدس ومن مريم العذراء دون
إستحالة ودون خطية . وباحتماله الموت بالجسد على الصليب
بارادته ، أعلننا أن تحمل هذا الموت لم يكن لنفسه لكن لاجلنا ،
بقيامته من بين الاموات في اليوم الثالث فك رباطات الجحيم ؛

والدليل على ذلك أن كثيرين من أجساد الصديقين الذين كانوا
مدفونين قاموا وأسرعوا نحو المدينة المقدسة .

عند سماع هذه الكلمات ، ظل الطاغية كالأخرس لا صوت
له ، وكان كمن أخذته دوار أو أصابه الشلل بسبب هذه المعلومات
اللاهوتية . فلم يدر ماذا يفعل ، فقد غلبته شجاعتها . فأمر أن
يقادا إلى منطقة من بلاد المعجم كانوا يسمونها وادى الفرات ،
فيسلنا إلى أنطيوخس الذى كان رئيساً للقوات في هذا البلد ،
وكان قد دعى ليتولى القيادة . وكان هذا الملك الكافر يظن أنه
سوف يحقق بهما الخزي والمهانة .

وأطاع أنطيوخس الأمر الصادر إليه بقدر الامكان ، وسألها
وخص سلوكهما بالتحقيق والاختبارات . ولما رأى أن ذلك لا
يقتنيهما عن رأيهما ، أمر أن يوضع القديس سرجيوس في السجن
فوراً . أما المغبوط واخس ، فكان الأمر أن يضربوه على بطنه
وعلى ظهره بأعصاب البقر . وبعد أن تحمل الضربات العديدة ،
وتسكاد ألا تحصى ، دون أن يضعف في روحه أو يتطق لسانه
بكلمة واحدة تدل على الخور أو الجبن ، أسلم الشهيد أخيراً روحه
المسكولة للمسيح صاحب الجهاد وأتقوا جسده في الصحراء . وكانت
الوحوش الضارية تحرسه بطريقة معجزة فلم يصبه ضرر إلى أن

جاء بعض الإخوة الأبرار الذين اعتادوا ممارسة أعمال الرحمة الإلهية ولفوه في كفن ودفنوه في القبر .

أما سرجيوس فقد خاض معارك أسهى ، بينما كان يظهر واخس له أثناء الليل ويدعوه إلى مساكن الطوباويين ويبيت فيه روح الشجاعة التي لا يمكن التعبير عنها والفرح . وقد اخترع هذا القناع الباليغ النسوة نوعا من العذاب المريع احتماله . فقد جهز أحذية بها مسامير مدببة وأمر أن توضع رجلى القديس فيها وأن يركض أمام عربته من قلعة إلى أخرى تبعد عنها تسعة أميال . وكان سرجيوس يفعل ذلك بتنهيل قاتلا حسب ارشادات بولس الرسول : « وحاذرين أوجسكم باستعداد انجيل السلام » اف ٦ : ١٥ ، « كثير على المشابهة ، فإن قدس المسيح مخلصنا اخترقتهما المسامير بسببى . إنى أئن أيضا بسبب عدم تشابه دق المسامير ، فإن يدي لم تسمرا أيضا مثلما سمرت يداه . »

وبعد أن تقوى الشهيد بهذه الكلمات التي كان يستند عليها بثقة وبقوة كالعصا ، تقدم وأكل سعبيه في الطريق المرسوم . وفي الليل شفى بنعمة الله من جراحات قدميه وكانا في حالة سيئة من غزات المسامير العديدة المؤلمة وكانت تسبب ألما مبرحا لأنها كانت مسامير حادة ومستقيمة .

وبينما كان يجب على هذا القائد عديم الشفقة والرحمة أكثر من الحيوان المفترس ، أن يؤمن بواسطة هذه المعجزة ، زاد في حماقته . وأمر الطاغية أن يركض القديس النشط وفي رجله نفس الأحذية بنفس الطريقة هذه المسافة . أما القديس فأسرع في التنفيذ وهو يقول : أركض الآن أيضا مثلنا أركض أمام مذبح المسيح ، « لماذا أخاف في أيام الشر عندما يحيط بى الممتنعين » مز ٤٨ : ٦ حسب قول المرسل ، أكون جبانا لو فكرت انى أمشى على الأرض وليس في الطريق الذى يؤدي إلى السماء ،

وبعد أن أنهى سعيه مثل بولس الرسول ، وحفظ الايمان ، قطعوا رأسه ، وأنهى جهاده . في مكان يدعى « رصافا » يرقد تراب جسده المكرم وتجرى منه آلاف المعجزات والاشفية . لقد قدس كل الطريق الذى يؤدي اليه بالدم الذى سال من قدميه ، وقد أعمى بقطرات هذا الدم عين الثعبان الشريرة التي ترقبنا . « واضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها . هو يسحق واسك وانت تسحقين عليه » تك ٣ : ١٥ .

نحن إذأ ، حينما يزرع الشيطان في قلوبنا أفكارا شريرة ، يجب علينا أن نراقب المبادئ كما يراقب الرأس الاقدام ، فنراقب

أفكارنا الغير معروفة ، فإنه بواسطة الكلمات والاعمال الخارجية
يدفعنا العدو بمحبة اللذة إلى الخطية ويجعلنا نهلك . ويهرع سكان
البلد بنشاط ويقظة من عبودية الشيطان ، فلا تضرهم في شيء
ويذهبون نحو النُصْبِ المكرم الشريف الذى لشهادة القديس
سرجيوس ويأخذون على أنفسهم معرفة الله التى فى المسيح .
ترون أيها الاصدقاء الاعزاء ما هى أغذية الوليمة التى
استبقيتمونى لاجلها ، أظهروا إذن هذه الوليمة بطريقة كاملة .
امنحونى صلواتكم ، بطلبكم من المسيح الله القادر على كل شيء ان
يبيىء لى عوداً حسناً مرضياً لديه إلى مدينة انطاكية . له المجد
والسلطان مع الآب والروح القدس الآن وكل أوان وإلى
الابد آمين .

† † †